Kirkuk University Journal of Humanities Studies
مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية
https://kujhs.uokirkuk.edu.iq/

# The position of the Mamluk Sultan Al-Ashraf Qaitbay (872-901 AH/1467-1496 AD) Regarding the rebellion of Prince Dalghadari Shah Siwar

M.Dr. Mukhlaf Abdullah Salih Al Jubory
Kirkuk University
College of Education for women
mukhlifabdullah@uokirkuk.edu.iq

تاريخ الارسال ٣٠-١٠-٢٠٢٤ تاريخ التعديل ١٨-١١-٢٠٢٤ تاريخ القبول ٢٧-١١-٢٠٢٤

**Abstract**

The study of the position of the Mamluk Sultan Al-Ashraf Qaitbay (872-901 AH/1467-1496 AD) regarding the rebellion of Prince Dalghadari Shah Siwar is one of the important studies that many historians have overlooked and which had a significant impact on the policy of the Mamluk state, as the Dalghadr Emirate was subordinate to it and the Mamluks were not. They allow this emirate to depart from their dependence, and the emirate served as a barrier between them and the Ottoman Empire.

Prince Dalghadari rebelled against the Mamluk state under circumstances that enabled him to benefit from it. The state was going through difficult circumstances before Sultan Al-Ashraf Qaytbay came to power. The country's sultan, Khashkadam, was on his sick bed when the news of Tamr Shah Siwar arrived. After his death, three sultans succeeded in ruling the Mamluk state. A period of less than four months

After Sultan Qaitbay came to power, he did not accept Prince Dalal's departure from his rule, so he sent three military campaigns against him. Prince Dalal Ghadri was victorious in the two campaigns. The first was acceptable in fighting the third. The Mamluks were able to defeat Shah Siwar and he remained in control of the country. He was taken prisoner with a number of his brothers and relatives in Cairo. Drought, famine, and Shah Siwar's cunning cooperated to prolong the rebellion, which cost the Mamluk state much in human and material reduction

**Keywords:** Al-Ashraf Qaitbay, Prince Dalghadari Shah Siwar.

# موقف السلطان المملوكي الاشرف قايتباي (٨٧٢ -٩٠١هـ/١٤٦٧-١٤٩٦م) من تمرد الامير الدلغادري شاه سوار

م.د.مخلف عبدالله صالح الجبوري*
جامعة كركوك
كلية التربية للبنات
mukhlifabdullah@uokirkuk.edu.iq

**الملخص**

تعد دراسة موقف السلطان المملوكي الاشرف قايتباي (٨٧٢ -٩٠١هـ/١٤٦٧-١٤٩٦م) من تمرد الامير الدلغادري شاه سوار، من الدراسات المهمة والتي غفل عنها كثير من المؤرخين والتي كان لها اثر كبير على سياسة الدولة المملوكية فقد كانت امارة دلغادر تابعه لها ولم يكن المماليك يسمحون بخروج هذه الامارة عن تبعيتهم كما ان الامارة كانت بمثابة حاجز بينهم وبين الدولة العثمانية.

تمرد الامير الدلغادري على الدولة المملوكية في ظروف مكنته من الاستفادة منها فقد كانت الدولة تمر بظروف صعبة قبل وصول السلطان الاشرف قايتباي للسلطة، فقد كان سلطان البلاد خشقدم على فراش المرض عند وصول اخبار تمر شاه سوار، وبعد وفاته تعاقب على حكم الدولة المملوكية ثلاثة سلاطين في مدة اقل من اربعة اشهر. وبعد وصول السلطان قايتباي للسلطة لم يقبل بخروج الامير الدلغادري عن حكمه فارسل ثلاث حملات عسكرية ضده انتصر الامير الدلغادري في الحملتين الاولى والثانية وفي الحملة الثالثة تمكن المماليك من الانتصار على شاه سوار والسيطرة على بلاده واخذ اسيراً مع عدد من اخوته واقاربه ليعدم في القاهرة. فقد تعاون كل من القحط والمجاعة، ودهاء شاه سوار على طول مدة التمرد الذي كلف الدولة المملوكية الكثير من الخسائر البشرية والمادية.

**كلمات مفتاحية:** قايتباي ، شاه سوار، الحملة العسكرية، الدولة المملوكية، الابلستين.

*جامعة كركوك/ كلية التربية للبنات

**المقدمة**

ان دراسة موقف السلطان المملوكي الاشرف قايتباي (٨٧٢ -٩٠١هـ/١٤٦٧-١٤٩٦م) من تمرد الامير الدلغادري شاه سوار من الدراسات المهمة والتي تستحق الدراسة والبحث وذلك للتعرف على علاقة الدولة المملوكية بإمارة دلغادر التركماني في حقبة زمنة صعبة حيث لم تعد الدولة المملوكية صاحبة الكلمة الوحيدة في المنطقة بعد سطوع نجم الدولة العثمانية والانتصارات الكبيرة التي حققتها ولا سيما بعد فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني(الفاتح)، كما ان الدولة المملوكية في تلك الحقبة كانت تمر بأصعب ظروفها ، كما ان ظهور الامير اوزون حسن (حسن الطويل) زعيم إمارة الاق قوينلو على مسرح اثر في احداث المنطقة، كانت امارة دلغادر التركمانية تابعة للدولة المملوكية وكان المماليك يعدونها احد املاكهم، ولا يقبلون بخروجها عن تبعيتهم.

تهدف الدراسة على التعرف على امارة دلغادر التركمانية والتي كانت تابعة للدولة المملوكية اسمياً الا انها كانت تخرج في كثير من الاحيان عن سلطتهم وتكون تابعة للدولة العثمانية فكل من الدولتين كان يريد ان تكون من املاكه، تميز الامير شاه سوار وهو احد امراء دلغادر بقوة الشخصية والدهاء العسكر فقد تمرد على الدولة المملوكية في ظروف مكنته من الاستفادة منها فقد كانت الدولة المملوكية تمر بظروف صعبة قبل وصول السلطان الاشرف قايتباي للسلطة فقد كان السلطان خشقدم على فراش المرض وبعد وفاته تعاقب على حكم الدولة ثلاثة سلاطين في مدة اقل من اربعة اشهر. وبعد وصول السلطان قايتباي للسلطة لم يقبل بخروج الامير الدلغادري عن حكمه فارسل ثلاث حملات عسكرية ضده انتصر الامير الدلغادري في الحملتين الاولى والثانية وفي الحملة الثالثة تمكن المماليك من الانتصار عليه والسيطرة على بلاده واخذ اسيراً

مع عدد من اخوته واقاربه ليعدم في القاهرة ، فقد تعاون كل من القحط والمجاعة ، ودهاء شاه سوار على طول مدة التمرد الذي كلف الدولة المملوكية الكثير من الخسائر البشرية والمادية.

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي الذي يقوم على دراسة المصادر التاريخية والدراسات الحديثة وجمع المعلومات ونقدها وتحليلها وعرضها بدقة بأسلوب علمي، ومحاولة استنطاق النصوص، ووصف الوقائع التاريخية بالاعتماد على ما توصلت إليه من معلومات موثوقة والتعريف بالأماكن والشخصيات والمصطلحات والمفاهيم الواردة في الدراسة.

واقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى مبحثين يسبقها ملخص وتتلوها خاتمة ذكر فيها ابرز النتائج التي توصل اليها البحث واشتمل المبحث الاول على لمحة تاريخية عن امارة دلغادر، والموقف الاقليمي قبيل وصول السلطان المملوكي قايتباي للسلطة، والمماليك وفتنة شاه سوار، اما المبحث الثاني فقد سلط الضوء على اجراءات السلطان قايتباي ضد فتنة شاه سوار، والحملة الأولى (٨٧٢هـ/١٤٦٧م) ضد شاه سوار والتي انصر فيها على الجيوش المملوكية، واسباب فشل الحملة، ووصول اخبار الهزيمة الى القاهرة واجراءات السلطان قايتباي، ثم الحملة الثانية(٨٧٣هـ /١٤٦٨م)، والتي انتصر فيه شاه سوار ايضاً، واخيراً الحملة الثالثة(٨٧٥هـ/١٤٧٠م)،والتي انتصر فيها المماليك واسر شاه سوار واعدم في القاهرة.

**المبحث الاول**

**اولاً: لمحة تاريخية عن امارة دلغادر**

امارة تركمانية نزحت نحو الاناضول من اسيا الوسطى فراراً من الغزوا المغولي، لتكون في المنطقة الحدودية بين الدولتين المملوكية، والعثمانية، وكانت في بدية تأسيسها تابعة اسمياً للدولة المملوكية، وحكمت حوالي ١٩٠سنة (٧٤٠- ٩٢٨هـ/ ١٣٣٩-١٥٢١م)، في ملطية[١] والبستان (الابلستين)[٢]، ومؤسس هذه الامارة هو الامير زين الدين قره جه الدلغادري (٧٤٠- ٧٨٠هـ/ ١٣٣٩-١٣٧٨م)، وبعد وفاته خلفه ابنه الامير خليل(٧٨٠هـ-٧٨٨هـ/ ١٣٧٨-١٣٨٦م) الذي فتح مرعش[٣] وملطيه، وخربوت[٤]،وبهنسا[٥]، وتختلف المصادر في تواريخ هذه الفتوح (ابن اجا، ١٩٨٦، الصفحات ٢٠-٣٠) وقد قتل كل من الامير زين الدين قره جه وابنه الامير خليل في معاركهم ضد المماليك، وبعد مقتل الامير خليل استلم حكم الامارة اخوه الامير سولي بك (٧٨٨ -٨٠٠هـ/١٣٨٦-١٣٩٧م) (ابن اجا، ١٩٨٦، الصفحات ٢٥-٢٧)،الذي حارب

---

[١] ملطية : مدينة تركية على نهر الفرات قرب التقاء نهري قره صو، ومراد صو وفتحها المسلمون عنوة في العهد الاموي على يد القائد حبيب بن مسلم الفهري, ثم هجم عليها قسطنطين ملك الروم فخربها سنة (١٣٣هـ /٧٥٠م) ثم جدد بناءها الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور. (ياقوت الحموي، ٢٠٠٧، صفحة ١٩٢/٥؛ موستراس، ٢٠٠٢، صفحة ٤٦٨).

[٢] الابلستين: وتسمى البستان تقع على سفح جبل البستان شرقي قيصيرية من مدن الثغور, ايام الروم، وسميت بالبستان من قبل صاحبها (جهاناما اوليا جلبي), وهي اليوم ضمن الاراضي التركية. (ياقوت الحموي، ٢٠٠٧، صفحة ٧٥/١؛ موستراس، ٢٠٠٢، صفحة ٩١).

[٣] مرعش : سماها الروم مراسيون وهي مدينة تقع بين بلاد الشام، وبلاد الروم لها سوران وخندق في وسطها حصن حوله سور يعرف بالمرواني بناه الخليفة الأموي مروان بن محمد، ثم حصنها الخليفة العباسي هارون الرشيد. (ياقوت الحموي، ٢٠٠٧، صفحة ١٠٧/٥).

[٤] خربوت او خرت برت: من مدن الاناضول الشرقية ، وتقع شمال غرب ديار بكر على بعد (٩٥) كيلو متر بينها وبين ملطية مسيرة يومين, وبينمها الفرات وهي على ارتفاع (١٢٣٧) متراً فوق مستوى سطح البحر اصل تسميتها ارمني تعني قلعة الحجر, وكان المسلمون يسمونها حصن زياد. (ياقوت الحموي، ٢٠٠٧، صفحة ٣٥٥/٢؛ موستراس، ٢٠٠٢، صفحة ٢٥٨).

[٥] البهسنا : هي قلعة حصينة في شمال حلب على الرافد الايمن لنهر الفرات وبها بساتين ونهر صغير واسواق وبها مسجد وجامع وتقع غرب عينتاب. (موستراس، ٢٠٠٢، صفحة ١٨٠).

المماليك وانتصر عليهم في بعض المواقع فاعترفوا له بالسيادة على البستان، وقتل آخر الأمر بتدبير من قبل السلطان المملوكي الظاهر برقوق [٦]، وجاء بعده في حكم الامارة ابن اخيه محمد بن خليل(٨٠١-٨٤٦هـ/١٣٩٧-١٤٤٢م) (القرماني، ١٩٩٢، صفحة مج٣/١٠٠) ،وتعاقب على حكم هذه الامارة احدى عشر اميراً، وتعرضت للغزو التيموري الذي اكتسح اراضيها، كما تعرضت للغزو الصفوي على يد الشاه إسماعيل الصفوي(٩٠٧-٩٣١هـ/ ١٥٠١- ١٥٢٤م) الذي خرب مدنها، ولم يكفٍ بذلك بل نبش قبور زعمائهم، وكانت نهاية الإمارة على يد السلطان العثماني سليم الأول(٩١٨-٩٢٧هـ/ ١٥١٢ - ١٥٢٠م) سنة(٩٢٨هـ/١٥٢١م) (لين بول، ١٩٧٤، الصفحات ق٢/٤٥٢-٤٦٠).

## ثانياً: الموقف الاقليمي قبيل وصول السلطان المملوكي الاشرف قايتباي[٧] للسلطة

شهدت الحقبة التاريخية قبيل وصول السلطان قايتباي للسلطة اختلالاً في موازين القوى، فلم تبقِ الدولة المملوكية هي صاحبة الكلمة العليا في المنطقة، وذلك بعد بروز الدولة العثمانية في منطقة اسيا الصغرى, ولاسيما بعد محاولة الامير الدلغادري ملك أرسلان[٨] التقرب من العثمانيين, او على الاقل ان تكون علاقاته

---

[6] السلطان الظاهر برقوق: مؤسس دولة المماليك الجراكسة سنة (٧٨٤هـ/١٣٨٢م) جلب من بلاد الجركس وبيع ببلاد القرم ومن ثم الى القاهرة فاشتراه الامير يلبغا الخاصكي، واعتقه وجعله من مماليكه، وعرف ببرقوق العثماني نسبة الى بائعه فخر الدين عثمان ابن مسافر ، وسمي برقوق لجحوظ في عينيه وتنقل في المراتب حتى اصبح سلطاناً سنة (٧٨٤هـ /١٣٨٢م) ثم عزل من السلطنة ثم عاد اليها وبقى سلطاناً حتى توفي سنة(٨٠١هـ/١٣٩٨م) . (ابن تغري بردي، موارد اللطافة في من ولي السلطة والخلافة، ١٩٩٧، الصفحات ٢/١١٨-١٢٠؛ السخاوي، ١٩٩٢، الصفحات ٣/١٠-١١).

[٧] الاشرف قايتباي: قايتباي المحمودي الظاهري الجركسي الملك الأشرف سيف الدين ابو النصر, تولى الحكم سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م), وهو جركسي الجنس, والد في بلاد الجركس جلبه الخواجة محمود الى مصر ولذلك عرف بالمحمودي اشتراه السلطان الأشرف برسباي, وعند سلطنة الظاهر جقمق اعتق, وتقلد عدة مناصب ، حتى اصبح اتابكاً للعسكر في عهد السلطان تمربغا، واصبح سلطاناً بعد خلع تمربغا وقد امتنع عن قبول السلطنة في بادى الامر ثم قبلها تحت ضغط الامراء، توفي ٢٧ ذي القعدة سنة(٩٠١هـ/١٤٩٥م) ودامت سلطنته ٢٩سنة و٤اشهر و٢٠يوماً. (ابن تغري بردي، موارد اللطافة في من ولي السلطة والخلافة، ١٩٩٧، الصفحات ٢/١٨٥-١٨٦؛ السخاوي، ١٩٩٢، الصفحات ٦/٢٠١-٢١٢).

[٨] ملك ارسلان بك بن سليمان الدلغادري (٨٥٨-٨٧٠ هـ / ١٤٥٤ – ١٤٦٥ م) تولى حكم الامارة بعد وفاة والده الامير سليمان تقرب من السلطان العثماني محمد الثاني ( الفاتح ) ، لذلك ساءت علاقته مع السلطان المملوكي خشقدم الذي دبر عميل الاغتيال "وأحد من عدى في الملوك وصارت له ضخامة ورياسة". (السخاوي، ١٩٩٢، الصفحات ٢/٣١٣-٣١٤).

متوازنة بين كل من العثمانيين، والمماليك الذين لم يكن هذا التقرب ليرضيهم، وعلى الرغم من الاعتذار الذي قدمه ملك ارسلان الدلغادري عن طريق رسوله الى السلطان المملوكي خشقدم(٨٦٥-٨٧٢ هـ/١٤٦١-١٤٦٧م)[٩] في القاهرة " **كون بلاده متاخمة لممالك ابن عثمان ولا طاقة له به**" (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، ١٩٩٠، صفحة ٥٠١/٣)

ويبدو ان الاعتذار لم يشفع للأمير ارسلان الدلغادري الذي اغتيل في القاهرة سنة (٨٧٠هـ/١٤٦٥م) من قبل فداوي أثناء تأديته لصلاة الجمعة وكانت اصابع الاتهام تشير الى السلطان المملوكي الظاهر خشقدم" **إن الفداوى كان أرسله الملك الظاهر خشقدم**" (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٩٩٢، صفحة ٣٤٥/١٦) بدأت العلاقات المملوكية الدلغادرية مرحلة جديدة من الصراع ، حيث أرسل السلطان المملوكي خشقدم تقليداً[١٠] بنيابة الابلستين مع الخلعة[١١] الى الأمير شاه بوداق[١٢]،إذ ان هذا الاجراء اعتاد عليه السلاطين المماليك عند اختيارهم من يتولى نيابة الابلستين منذ تأسيسها ، بعد مقتل ملك ارسلان عين السلطان المملوكي الظاهر خشقدم شاه بوداق اميراً على إمارة دلغادر (السخاوي، ١٩٩٢، صفحة ٢٧٤/٣)الذي كان معروفاً عنه انه موالي للمماليك ، اما السلطان العثماني محمد الفاتح(٨٥٥-

[٩] الظاهر خشقدم: هو خشقدم الناصري المؤيدي الرومي الملك الظاهر سيف الدين ابو سعيد, تولى السلطنة في سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م, وكان رومي الجنس من الأرناؤوط, جلبه الخواجا ناصر الدين محمد فاشتراه الملك المؤيد شيخ, وكان ملكاً جليلا كفؤاً للسلطنة, محتشماً عاقلاً وقوراً شجاعاً, وفي نهاية سلطنته عظم امره وخافه الخاص والعام, الا ان مرض وطال مرضه حتى مات ؛ (ابن تغري بردي، موارد اللطافة في من ولي السلطة والخلافة، ١٩٩٧، صفحة ١٧٥/٢؛ ابن اياس، ٢٠١٨، الصفحات ٣٧٨/٢-٣٧٩).

[١٠] التقليد: هو مرسوم تعيين موقع من قبل السلطان. (القلقشندي، ١٩٩٢، صفحة ٢٧٤/٩؛ العمايرة، ٢٠١٠، صفحة ٨٠)

[١١] الخلعة: ما يخلعه الخليفة او السلطان او الامير على احد الناس من الثياب الفاخرة ممن ادوا للدولة خدمات مميزة وقد تكون الخلعة عيناً أو مالاً وهي في اغلب الاحيان لباس مؤلف من جبة مطرزة، وعمامة، وطيلسان، وسيف. (الخطيب، ١٩٩٦، صفحة ١٦٥؛ العمايرة، ٢٠١٠، صفحة ١١٦).

[١٢] شاه بوداق: بن سليمان حكم الامارة مرتين الاولى (٨٧١هـ /١٤٦٦م) والمرة الثانية (٨٧٦-٨٨٥هـ/١٤٧١-١٤٨٠م )عينه السلطان المملوكي اميراً على إمارة دلغادر الذي كان معروفاً عنه انه موالي للمماليك، توفي في مصر بمرض الطاعون سنة (٩٠٣هـ /١٤٩٧م). (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٢٧؛ لين بول، ١٩٧٤، الصفحات ق٤٥٨/٢-٤٦٠).

٨٨٦هـ/١٤٥١- ١٤٨١م) ، فقد قدم مرشحه للإمارة وهو شاه سوار[١٣] اخو شاه بوداق (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٢٧) ، الذي كان لاجئاً لدى السلطان العثماني ، وحمل هذا الترشيح الى القاهرة رسول السلطان العثماني في جمادي الاخرة سنة(٨٧٠هـ/١٤٦٥م)، ولم يلقٍ شاه سوار مرشح السلطان العثماني تأييدا من قبل المماليك الذين اصرّو على شاه بوداق , فساند العثمانيون شاه سوار بقوة عسكرية مكنته من ازاحة شاه بوداق عن قسم من اراضي الإمارة ، حيث اصبح بوداق اميراً على مرعش, وشاه سوار اميراً على الابلستين , الا ان بوداق لم يحقق أي مكاسب ضد شاه سوار بسبب ضعف شخصيته اذا ما قورن بأخيه شاه اسوار، مما جعل السلطان المملوكي يأمر بعزل شاه بوداق وسجنه في حلب لتقصيره في محاربة اخيه شاه سوار (لين بول، ١٩٧٤، صفحة ق٢/٤٥٩), وتنصيب عمه الامير رستم بن محمد ناصر الدين بدلاً عنه في شوال سنة (٨٧٠هـ/١٤٦٥م) ، وعلى ما يبدو ان الامير رستم كان اضعف من شاه بوداق هذا ما اكده ابن تغري بردي" **وأظن ان رستم هذا اضعف من شاه بضع في دفع شاه سوار**" (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٩٩٢، صفحة ١٦/١٦٣).

طوال سبعة اشهر لم يحقق الامير رستم أي تقدم, او يحصل على أي مكاسب في حربه ضد شاه سوار, مما دفع السلطان المملوكي خشقدم الى عزله في ذي القعدة سنة (٨٧١هـ/١٤٦٦م), وإعادة شاه بوداق الذي كان سجيناً في حلب مكانه, الا ان شاه سوار قد سيطر على جميع ممتلكات الإمارة (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٢٧؛ لين بول، ١٩٧٤، صفحة ق٢/٤٥٩).

[١٣] شاه سوار: بن سليمان الدلغادري (٨٧١-٨٧٦هـ/١٤٦٦-١٤٧١م ) اصبح اميراً على إمارة دلغادر، أستعان بالسلطان العثماني محمد الفاتح, فأستولى على عدد من المدن والقلاع وخطب له فيها على المنابر وضربت السكة باسمه سنة (٨٧٢هـ/١٤٦٧م)، بلغت إمارة دلغادر في عهده اوج عظمتها واطلق عليها لقب (المملكة الدلغادرية)،كتب اسمه في المكان الذي يكتب فيه اسم السلطان المملوكي, كما ان أبناء الإمارة لم يقتربوا من الدور المدني إلا في عهده حارب شاه سوار المماليك وأنتصر عليهم في معارك عديدة، لكن المماليك تمكنوا في النهاية من اسره واعدامه. (السخاوي، ١٩٩٢، الصفحات ٣/٢٧٤-٢٧٥).

**ثالثاً: المماليك وفتنة شاه سوار**

لقد تمرد شاه سوار في ظروف تمكن من الاستفادة منها في حربه ضد الدولة المملوكية، إذ ان ظهور الدولة العثمانية, وتوجيه انظارها الى اسيا ولاسيما بعد فتح القسطنطينية سنة (٨٥٧هـ / ١٤٥٣م) على يد السلطان محمد الفاتح ,لتصبح الدولة العثمانية من اقدر القوى في المنطقة ، لذلك بدأت بالتدخل في شؤون الدولة المملوكية وخير دليل على ذلك فرض مرشحهم شاه سوار لتولي إمارة دلغادر على المماليك بالقوة .

بدأ المماليك يتخوفون من العثمانيين, وتبدلت نظرتهم إليهم من مشاعر الاعتزاز الى مشاعر الغيرة وأخذ الصراع على زعامة العالم الاسلامي يشتد بين الطرفين، وشجع هذا التحدي من قبل العثمانيين قوى أخرى على الظهور على مسرح الاحداث, الا وهي إمارة الاق قوينلو( بالخروف الابيض) [١٤] مستغلة بذلك الخلل الذي اصاب توازن القوى في أسيا الصغرى, ومستفيدة من موقعها الحيوي على طرق التجارة البرية التي تربط الشرق بالغرب بعد ان تمكنت بقيادة زعيمها اوزون حسن(حسن الطويل)[١٥] من أسقاط إمارة القره قوينلو(الخروف الاسود)[١٦] سنة (٨٧٢هـ/١٤٦٧م) والاستيلاء على المناطق التي كانت تابعة لها في العراق وبلاد فارس (الجواهري، ١٩٩٠، صفحة ٣١).

---

[١٤] الاق قوينلو(الخروف الابيض) : قبائل تركمانية هاجرت من تركستان الى إذربيجان ثم جاءت الى اطراف ديار بكر واستقرت اخيراً في امد ،والموصل ومؤسسها بهاء الدين قره عثمان ولقبه قرايلك سميت ( بالخروف الابيض ) لرسم الخروف الابيض على اعلامها (القرماني، ١٩٩٢، الصفحات ٣/٩١-٩٨؛ لين بول، ١٩٧٤، الصفحات ق٢/٥٦١-٥٦٧).

[١٥] اوزون حسن : من ابرز امراء الاق قوينلو وكلمة اوزون تعني الطويل أي حسن الطويل وكانت مدة حكمه عشر سنوات(٨٧٢- ٨٨٢هـ /١٤٦٧ - ١٤٧٧م ) اتسعت الإمارة في مدة حكمه وحارب الدولة العثمانية في زمن السلطان محمد الفاتح ثلاثة حروب انتصر في واحد وخسر في اثنان توفي سنة (٨٨٣هـ /١٤٧٨م) (السخاوي، ١٩٩٢، الصفحات ٣/١١٢-١١٣).

[١٦] القره قوينلو(الخروف الاسود): اسرة تركمانية من قبائل الغز التركية استقرت في الموصل, جنوب بحيرة وان, ثم توسعت في اسيا وكونوا اسرة كبيرة اشتهر منهم قرا محمد، وابنه قرا يوسف الذي تزعم القبيلة بعد وفاة والده سنة (٧٩٢هـ/١٣٩٠م) وجعل تبريز عاصمة له, وحارب التيموريين ثم الجلائريين وأخيراً تمكن اوزون حسن من انهاء هذه الامارة . (لين بول، ١٩٧٤، الصفحات ق١/٥٥٦-٥٥٩).

فقد حاول اوزون حسن التحرش بالدولة المملوكية سنة (٨٧٥هـ/١٤٧٠م)، ربط مؤرخ المماليك المعاصر ابن اياس هجوم اوزون حسن على املاك الدولة المملوكية بالضرر الذي لحقهم من جراء تعاون العثمانيون مع شاه سوار إذ قال " حسن الطويل تحرك على أخذ البلاد الحلبية، وانه اظهر العداوة للسلطان وقد طمع في عسكر مصر بموجب ما فعله معهم سوار" (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ١٢٣/٢) .

ادرك صاحب الطموحات السياسية الكبيرة والمتقلبة اوزون حسن ان الدولة المملوكية أصبحت غير قادرة على مقارعة ثلاث اعداء في ان واحد ، الدولة العثمانية التي اصبحت سيدة المنطقة, وتمرد شاه سوار واوزون حسن ، لذلك اقدم على الهجوم على الدولة المملوكية، والحقيقة لولا مساندة العثمانيين لشاه سوار لما استطاع الوقوف بوجه الدولة المملوكية ولا تجرء اوزون حسن على التحرش بالدولة المملوكية .

اما المماليك ازاء هذا التصعيد الخطير للأوضاع, فقد قرر سلطانهم الظاهر خشقدم أتخاذ عدة تدابير منها:١

١- قرر أرسال حملة عسكرية عين لها سبعة من الامراء الالوف، الا ان تحرك هذه الحملة لم يتم واوكل مهمة التصدي لشاه سوار الى نيابة حلب (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٣٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٩٩٢، صفحة ٢٦٢/١٦) .

٢- عزل شاه بوداق ( اخو شاه سوار) ثم امر بسجنه في قلعة حلب بتهمة تقصيره في محاربة اخيه (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، ١٩٩٠، صفحة ٥٤٨/٣) ، ثم عين الأمير رستم بن ناصر الدين بن دلغادر بدلاً عنه وذلك في الخامس والعشرين من شوال سنة (٨٧١هـ/١٤٦٦ م) (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٩٩٢، صفحة ٢٦٣/١٦).

٣- أرسال الأمير قاني باي نائب طرابلس رسولاً الى شاه سوار يعرض عليه نيابة الابلستين بشرط ان يحضر الى حلب او الى مكان اخر قريب من اجل ان يلبس الخلعة ويقرأ عليه التقليد، اما بخلاف ذلك فسوف تعطى

الاوامر الى جيش حلب لمساعدة الأمير رستم بن ناصر الدين من اجل طرد شاه سوار وتوليته امرة الابلستين مكانه, وبما ان شاه سوار رفض هذا العرض لشعوره ان في الامر خدعة لاستدراجه الى حلب والقاء القبض عليه، فقد امر السلطان المملوكي الظاهر خشقدم في ربيع الاول سنة (٨٧١هـ ١٤٦٦م) بخروج جميع نواب نيابة حلب بجيوشهم تحت قيادة نائب حلب الأمير يشبك البجاسي, حيث أمرهم بالتوجه نحو إمارة دلغادر وقتال شاه سوار وتعين الأمير رستم الذي رافق الجيوش المملوكية مكانه (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، ١٩٩٠، الصفحات ٣/٥٣٠-٥٣١؛ محمد، صفحة ٨).

طوال سبعة أشهر لم يحقق الأمير رستم أي تقدم في صراعه ضد شاه سوار لذلك أضطر السلطان خشقدم الى عزله في ذي القعدة سنة (٨٧١هـ /١٤٦٦م) واعادة شاه بوداق في نيابة الابلستين ، حمل الامر السلطاني الأمير اردبس الدوادار في ذي الحجة من السنة نفسها الى بلاد الشام مع امر بخروج نائب الشام بردبك البشمقدار[١٧]، وكل من نائب حلب يشبك البجاسي، ونائب طرابلس قاني باي الحسني، ونائب حماة تنم الحسني فضلاً عن تركمان الطاعة[١٨] بجيوشهم لقتال شاه سوار, إذ كان قائد الحملة الأمير بردبك البشمقدار نائب الشام نفذت الجيوش الحلبية ومن معها الأمر السلطاني, فخرجت بقواتها حيث التقت هذه الجيوش في ٥ ربيع الاول (٨٧٢هـ /١٤٦٧م) بقوات شاه سوار (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، ١٩٩٠، صفحة ٣/٦٠٣)" ولكن حصل مالم يكن بالحسبان " (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة

[١٧] البشمقدار: مصطلح مركب مكون من مقطعين الاول بشمق بمعنى النعل والثاني هو دار بمعنى ممسك ويطلق هذا اللقب على المملوك الذي يحمل نعل السلطان (السبكي، ١٩٨٦، صفحة ٣٥؛ دهمان، ١٩٩٠، صفحة ٣٤) .

[١٨] تركمان الطاعة :هم مجموعة من القبائل التركمانية المنتشرة في بلاد الشام الذين يتقيدون بأوامر الدولة المملوكية في حالات الحرب وينصاعون لأوامر السلطان، كما ويلتزمون بدفع الضرائب المفروضة عليهم. واطلق عليهم هذا اللقب تمييزاً لهم عن باقي التركمان الذين كانوا على عداء مع السلطة المملوكية (العمايرة، ٢٠١٠، صفحة ٧٧).

٣٥) , حيث اسفرت المعركة عن خسارة فادحة للقوات المملوكية قتل فيها عدد من الامراء منهم اتابك[١٩] حلب واتابك حماة, ويشبك المؤيد احد مقدمي الالوف[٢٠] بدمشق, كما فقد نائب طرابلس (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، ١٩٩٠، صفحة ٦٠٣/٣) اما باقي الجيوش فقد " فقد انهزمت هذه التجريدة شر هزيمة واصبح بعضها مأسوراً وبعضها مقتولاً" (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٣٥) .

لم يتوقع احد من القادة ان هذا الجيش الكبير الذي ضم عدداً كبيراً من النواب، والقادة سوف يتعرض لمثل هذه الخسارة الكبيرة لقد كانت خسارة المماليك كبيرة جداً، ويكفي ان نشير الى تعقيب ابن تغري بردي على هذه المعركة كي نفهم مدى الخسارة حيث قال "ونهب القوم جميع ما كان في عسكر حلب ...ونهب وطاق نائب حلب وقتل من مماليكه من أهل حلب والتركمان خلائق لا تدخل تحت حصر، غير اننا لا نعلم في هذا القرن بعد وقعة تيمور واقعه تشبه هذه من كثرة القتل والنهب"(ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، ١٩٩٠، صفحة ٣٦٤/٣), كما وصف تراجع نائب حلب نحوها " دخل الى حلب على أقبح وجه فصار الناس بهذا المقتضى كالغنم بلا راع " (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٩٩٢، الصفحات ٣٢٣/١٦-٣٢٤).

رغم التحضيرات الكبيرة التي قام بها المماليك وكثرة جيوشهم الا انهم خسروا المعركة امام شاه سوار فكانت خسائرهم كثيرة جداً , مما حدى بالمؤرخين المعاصرين ان يصفها مثل وقعة تيمور, وان الجيش بلا قادة فهرب الجميع لا يلوي أحداً على أحد, الكل همه النجاة بنفسه, أما الخسائر المادية فكانت كثيرة إذ لا يمكن

---

[١٩] اتابك: لفظ مركب من (اطا، او اتا) بمعنى أب وكلمة (بك) بمعنى السيد أو الأمير وهو القائد العام للجيوش (القلقشندي، ١٩٩٢، صفحة ١٨/٤؛ العمايرة، ٢٠١٠، صفحة ١٣).

[٢٠] مقدم الف: أعلى مراتب الأمراء في العصر المملوكي، ويكون في خدمة صاحبها مائة مملوك كحد أدنى وقد يصل العدد الى ١٢٠مملوكاً. ولأصحاب هذه الرتبة امتيازات خاصة منها دق الطبول على أبوابهم. (القلقشندي، ١٩٩٢، صفحة ١٤/٤؛ العمايرة، ٢٠١٠، صفحة ٤٩).

إحصاؤها . فلم يكن احد يتوقع هزيمة الجيوش المملوكية بهذه الصورة من ثائر مثل شاه سوار (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٣٥).

بعد هذه الهزيمة فقدت الدولة المملوكية سيطرتها على عدد من مدن الإمارة التي أصبحت بيد شاه سوار مثل الابلستين، وعينتاب[٢١]، ومرعش, كما تمكن من أخذ مدن اخرى كانت تابعة ادارياً لنيابة حلب مثل انطاكيه وادنة[٢٢] (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، ١٩٩٠، صفحة ٦٠٥/٣).

بعد وصول أخبار الهزيمة الى القاهرة اضطربت المدينة, وكردة فعل من قبل السلطان المملوكي الذي كان مريضاً جهز جيشاً أعظم من الجيش الاول ، إلا ان المنية حالت دون أرساله إذ توفى السلطان خشقدم في ١٠ ربيع الاول سنة (٨٧٢هـ /١٤٦٨م) , ثم وصلت الأخبار فيما بعد ان نائب الشام كان متواطئاً مع شاه سوار, فكان السبب المباشر في هزيمة الجيش المملوكي (ابن اجا، ١٩٨٦، الصفحات ٣٥-٣٦).

ازدادت الأمور تعقيداً على المماليك بعد وفاة سلطانهم خشقدم لتدخل بلادهم حقبة من حقب الخلل السياسي وضعف السلطة المملوكية[٢٣]، إذ تعاقب على حكم الدولة المملوكية اربع سلاطين خلال خمسة أشهر فكان من الطبيعي ان ينعكس هذا الوضع سلباً على أحوال الدولة التي سادها الاضطراب والفوضى لتشمل الفوضى مصر كله (ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٩٩٢، الصفحات ٣٩٤/١٦-٣٩٦).

---

[21] عينتاب: قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية ، وكانت تعرف بدلوك وهي الان من اعمال حلب. (ياقوت الحموي، ٢٠٠٧، صفحة ١٧٦/٤؛ موستراس، ٢٠٠٢، صفحة ٣٦٨).

[22] ادنة : مدينة في الجزء الاوربي من تركيا ، تقع على ملتقى نهر مريج وطونجة وفيها اثار جميلة انتزعها السلطان مراد الاول سنة(٧٦٢هـ/١٣٦٠م) من ايدي اليونان فكانت عاصمة الامبراطورية العثمانية حتى فتح القسطنطينية. (موستراس، ٢٠٠٢، الصفحات ٣٥-٣٦).

[23] تولى في ١٠ربيع الاول سنة (٨٧٢-هـ/١٤٦٧م) يوم وفاة الظاهر خشقدم السلطان ابو النصر يلباي المعروف بالمجنون حيث حكم ٥٦ يوماً ، ثم خلع ، وتولى بعده تمربغا الظاهري الذي حكم٥٨ يوماً ، ثم حكم بعده خايربك الذي تسلطن ليوم واحد فقط ، ثم الاشرف قايتباي . (ابن اياس، ٢٠١٨، الصفحات ٤٦٦/٢-٤٦٧).

استفاد شاه سوار من ظروف الفوضى التي عصفت بالمماليك حيث التف حوله عدد كبير من جيوش التركمان وقويت شوكته، أما امراء الدولة المملوكية فقد تمكنوا من الخروج من هذه الازمة باختيارهم السلطان الاشرف قايتباي في ٦ رجب (٨٧٢ هـ/١٤٦٧م) الذي كان يتمتع بشخصية قوية, إذ وصفه ابن اجا بقوله "هو في نظري أعظم ملك من المماليك الشراكسة" (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٣٦).

يعد السلطان قايتباي من أقدر ملوك الجراكسة حيث كانت لديه مقدرة كبيرة على القيادة وشخصية قوية إذ تمكن من الخروج بالدولة المملوكية من هذه الازمة, فتمكن من القضاء على التمرد الذي حدث داخل إقليم مصر وكاد ان ينتهي حكم الجراكسة في مصر.

**المبحث الثاني**

اولاً: اجراءات السلطان قايتباي ضد فتنة شاه سوار

اتبع السلطان الاشرف قايتباي سياسة جديدة في مواجهة تمرد شاه سوار، تختلف عن الاسلوب الذي كان متبعاً على عهد السلطان خشقدم، فبعد فشل نواب حلب، والشام في التصدي لشاه سوار، قرر ان لا يعتمد عليهم كلياً في هذه المهمة.

لم تكن مهمة السلطان المملوكي الاشرف قايتباي سهلة فقد استمرت الحرب بين الطرفين في مدة حكمه خمس سنوات أضطر خلالها الى أرسال ثلاث حملات عسكرية قبل ان يتمكن في النهاية من انهاء تمرد شاه سوار (الزهيري، ١٩٩١، صفحة ١٢٠) .

ثانياً: الحملة الأولى(٨٧٢هـ/١٤٦٧م)

بعد عدة ايام من توليه الحكم امر السلطان قايتباي بخروج حملة عسكرية من مصر، ونظراً لأن خزينة الدولة كانت في وضع سيئ فقد أتخذ عدة اجراءات مكنته من تهيئة النفقات اللازمة من أجل خروج الحملة العسكرية.

الاول : مصادرة بعض اموال عدد من اعيان الناس والمتنفذين في الدولة مثل خاير بك الذي استحصل منه ستين الف دينار وشهاب احمد العيني اخذ منه مائتي الف دينار .

الثاني : الاستفادة من الأموال التي جمعها من اولئك اللذين شغلوا بعض مناصب الدولة مقابل مبالغ من المال تفرضها الدولة عليهم مثل الأمير شادبك الجلباني الذي عين اتابك لدمشق مقابل ثمانية الاف دينار،

والأمير يشبك السيفي الذي عين في نيابة حلب مقابل ستة الاف دينار (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، ١٩٩٠، الصفحات ٣/٦١٨-٦٢٣-٦٢٧).

الثالث : اخذ مبلغ مائة دينار كبدل عن كل شخص لا يرغب في السفر وقتال شاه سوار (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٣٨) .

حاول المماليك ابعاد العثمانيين عن دائرة الصراع, وتهدئة العلاقات معهم قبل خروج الحملة فأرسل السلطان قايتباي وفد الى السلطان العثماني محمد الفاتح الذي استقبلهم واكرم وفادتهم, كما أرسل بعثة الى مصر من اجل تقديم التهنئة للسلطان المملوكي قايتباي بمناسبة توليه العرش (نافع، ٢٠٠٥، صفحة ٧٠).

يبدو ان الوفد نجح سياسياً، الا انه لم ينجح على أرض الواقع, وذلك بسبب كثرة تحركات شاه سوار وعلاقته الجيدة بالسلطان العثماني ، فضلاً عن اقتضاء مصالح العثمانيين الوقوف الى جانب شاه سوار في هذه المرحلة ، كل ذلك قلل من شأن هذه الخطوة (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، ١٩٩٠، صفحة ٣/٢٢٦).

خرجت الحملة العسكرية من مصر يوم الاثنين في ١٢ شعبان سنة (٨٧٢هـ/١٤٦٧م) وانفق عليها السلطان اموالاً كثيرة فقد صرف لها رواتب اربعة اشهر معجلاً، فضلاً عن الكسوة واعطى لكل منهم جملاً وقدم لها كل ما يمكن تقديمه (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٣/٩)، وكانت تحت امرة الاتابك جانبك قلقسيز, مع عدد كبير من الامراء والمماليك السلطانية[٢٤] فلما وصلت الى بلاد الشام أنضم اليها نائب الشام ازبك بن ططخ,

[٢٤] المماليك السلطانية: اهم فرقة في الجيش المملوكي وهي مرتبطة بالسلطان وتمثل أعظم الاجناد شأنا، وأرفعهم قدرا ، وأكثرهم إقطاعاً، واقربهم إلى السلطان، ومنهم الامراء، وتقسم الى قسمين رئيسين: الاول وهم المشتروات الذين يشتريهم السلطان القائم في الحكم، ويسمون أجلاب أو جلبان، والثاني: المستخدمون وهم المماليك الذين انتقلوا الى خدمة السلطان القائم من سلاطين سابقين(قرانيص) أو من امراء سابقين(سيفية). (القلقشندي، ١٩٩٢، الصفحات ٤/١٥-١٦؛ العمايرة، ٢٠١٠، صفحة ٣٠٦).

ونائب طرابلس اينال الاشقر, ونائب صفد دمرداش العثماني, كما أنضم اليهم تركمان الطاعة وامراء العرب (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، ١٩٩٠، الصفحات ٣/٦٢٩-٦٤٥).

اتجهت القوات المملوكية نحو مدينة عينتاب في ٢٦ رمضان سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) , فاستولت عليها, وبينما كانت الاستعدادات جارية من أجل السيطرة على قلعتها, وصلهم خبر من الأمير ابي بكر بن صالح – الذي أرسل كي يطلع على مكان شاه سوار – يعلمهم ان شاه سوار مرابط عند جبل يقال له (صوف) على مقربة من مدينة عينتاب , وبعد اتمام السيطرة على المدينة عينتاب (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، ١٩٩٠، صفحة ٣/٦٣٠), توجهت القوات نحو شاه سوار الذي انسحب أمامهم مستدرجاً هذه القوة نحو المضايق والمسالك الوعرة, مستغلاً بذلك درايته بمسالك الطرق إذ أخفى الرماة بين الاشجار وعلى رؤوس الجبال، وفي ٧ ذي القعدة التقى الطرفان في معركة فاصلة تمكن شاه سوار من ايقاع هزيمة كبيرة بالمماليك , وصفها المؤرخون على انها "**كسرة شنيعة**" (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٣٩؛ ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٣/١٢) أسر خلالها قائد الحملة الاتابك قلقسيز وكل من الأميرين طاز الاشرفي وتمرباي, كما أسر عدداً كبيراً من الامراء على اختلاف مكانتهم العسكرية, فضلاً عن عدد من المماليك , وبدأ شاه سوار يساوم المماليك بشأن اطلاق سراحهم, فقد طلب من اجل اطلاق سراحهم مبالغ تراوحت بين تسعة الأف دينار واربعة وثلاثون الف دينار حسب مركز الاسير وأهميته. (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، ١٩٩٠، صفحة ٣/٦٤٤) اما من قتل من الامراء والجند يصعب احصاؤهم, اما الذي سلم منهم دخل حلب على اسوأ حال من شبه العري والمشي (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٣/١٢).

**ثالثاً: اسباب فشل الحملة**

ترجع أسباب هذه الهزيمة حسب تعقيبات ابن تغري بردي, وهو مؤرخ معاصر وله صلة بالدولة باعتباره من طبقة المماليك, الى غياب القيادة الموحدة, فأنه اشار الى ان جانبك قلقسيز قائد الحملة لم يكن له امر ولا نهي بل كانت الكلمة العليا لأزبك بن طط نائب الشام, كما قارن بين القوات المملوكية وشاه سوار فيصف القوات المملوكية "كالمتوجه الى صيد, ولا يلوي احد على احد" كما يصفها في نص اخر" من غير تطليب ولا ترتيب ولا تعبئة ولا امير عليهم", اما شاه سوار "حشد العساكر, وأكمن الكمائن, وحصن القلاع, كل ذلك وفي ظنه انه مهزوم". (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، ١٩٩٠، صفحة ٦٤٦/٣).

جاء انتصار شاه سوار بفضل الحملة التي أرسلها له السلطان العثماني محمد الفاتح, فضلاً عن ما غنمه شاه سوار من الجيش المملوكي من اموال وخيول وسلاح وعدة الحرب، حيث تمكن من الاستيلاء على عينتاب ثم حاصر قلعة طرنده واخذها عنوة , وبدأ الاستعداد للهجوم على حلب (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ١٣/٣) بذلك يكون شاه سوار انفصل تماماً عن الدولة المملوكية , فضرب السكة باسمه وخطب له على منابر الابلستين واطلق على امارته اسم (المملكة الدلغادرية) , ثم أصدر مرسوماً كتب فيه أسمه المظفر شاه سوار في الموضع الذي يكتب فيه اسم سلطان الدولة المملوكية (الصيرفي، ١٩٧٠، الصفحات ٢٩-٣٠), وكتب هذا المرسوم من أجل تنظيم حركة التبادل التجاري وحرية انتقال ارباب المهن بين مملكته وبين مدن الشام وهذا نصه: " ان المقر الكريم العالي المولوي الأميري الكبيري الزيني المظفري اعز الله انصاره وضاعف اقتداره اشار الى الامن والامان بالدليل والبرهان بين التجار والقوافل وأبناء السبيل وغيرها من ارباب البيع والشراء والفلاحين والحراثين والصادرين والواردين والمترددين بالمملكة الشامية والحلبية والطرابلسية وغيرها من الغرباء واهل البلاد بالحضور التام بين الناس والانام الى المملكة الدلغادرية فمن حضر فيها

يكونون امنين على انفسهم واموالهم وذراريهم ودوابهم من غير تعارض ولا تمانع ولا تراجم والله يحرسه بالملائكة المقربين والانبياء المرسلين بحق محمد واله اجمعين والله على ما نقول خبير ومالنا من دون الله من ولي ولا نصير ان شاء الله تعالى. كتب في مستهل اول ربيعين من سنة ٨٧٣ والحمد الله وكفى وصلى الله على محمد المصطفى" (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، ١٩٩٠، صفحة ٦٨٦/٣؛ الصيرفي، ١٩٧٠، الصفحات ٢٩-٣٠).

بمقام مدينة الابلستين.

اراد شاه سوار الاستفادة من الانتصارات التي حققها والحصول على مكاسب اكثر فطلب الصلح من المماليك وهو في قمة انتصاره, فأرسل رسوله الى القاهرة التي وصلها في ٦ جمادى الاخرة سنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م), الا ان السلطان المملوكي قايتباي رفض استقباله (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، ١٩٩٠، صفحة ٦٩٧/٣).

**رابعاً: وصول اخبار الهزيمة الى القاهرة واجراءات السلطان قايتباي**

اضطربت القاهرة على اثر وصول قانصوه الجيلاني الحاجب بدمشق الذي يحمل خبر هزيمة الجيش المملوكي, حيث كان يحمل رسالة من ازبك نائب الشام يخبر السلطان بأمر الهزيمة وان ازبك دخل حلب وهو مجروح في وجهه. اصاب السلطان وحاشيته الذهول وحار في الامر فقد كان الجميع يظن ان شاه سوار لا يمكنه الانتصار على هذا الجيش لكثرة عدده وعدته, ومما زاد الامور تعقيداً على المماليك وصول اخبار جديدة مفادها ان جيش شاه سوار زادت قوته لانه استولى على اموال وخيول الجيش المملوكي وهو عازم على الزحف على حلب, كما سجن قلقسيز قائد الحملة في جب(بئر) (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ١٤٠).

على اثر هذه الاحداث عقد السلطان المملوكي قايتباي مجلساً استشارياً في القلعة للنظر في اخر التطورات في قضية شاه سوار , حضره الخليفة العباسي المستنجد بالله يوسف (٨٥٩-٨٨٤هـ/ ١٤٥٤-١٤٧٩م) (السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٢٠٠٥، الصفحات ٣٥٩-٣٦٠)،والقضاة الاربعة[٢٥], فضلاً عن عدد كبير من اعيان الدولة كما حضر الاجتماع شيخ الاسلام امين الدين يحيى الاقصرائي (السخاوي، ١٩٩٢، الصفحات ١٠/٢٤٠-٢٤٣) مع عدد من العلماء والامراء, حيث بيّن لهم السلطان خطر شاه سوار على الدولة المملوكية, كما وضح لهم اهم المعضلات التي تواجههم في أرسال حملة عسكرية جديدة, وهي:

١. النقص الذي تعاني منه الخزينة وكيفية ايجاد أفضل السبل من أجل تمويل الحملة العسكرية القادمة, فقد كان السلطان يريد اخذ اموال الاوقاف، والتجار، واصحاب المهن من اجل تغطية نفقات الحملة العسكرية, فأستفتى كل من الخليفة، والقضاة الاربعة, فوافق الخليفة وقسم من القضاة، الا انه فوجئ بموقف صلب من قبل شيخ الاسلام أمين الدين يحيى الاقصراني حيث قال "لا يحل للسلطان ان يأخذ اموال الناس الا بوجه شرعي، وإذا نفد جميع ما في بيت المال ينظر الى ما في أيدي الامراء والجند وحلي النساء, فيأخذ منه ما يحتاج إليه وإذا لم يوفّ بالحاجة ففي ذلك ينظر في المهم ان كان ضرورياً في المنع عن المسلمين حل ذلك بشرائط متعددة" (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٤١). لذلك فقد أتخذ اجراءات جديدة اقترحها عليه الأمير يشبك الدوادار هي ان يتبرع الامراء كل حسب قدرته, وقد تبرع هو بمبلغ عشرون الف دينار. كما قام بمصادرة بعض الاموال لعدد من الشخصيات (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، ١٩٩٠، الصفحات ٣/٦٤١-٦٤٢؛ الزهيري، ١٩٩١، صفحة ١١٩) .

[٢٥] كان القضاة هم. ولي الدين الاسيوطي الشافعي, ومحب الدين بن الشحنة الحنفي, وحسام الدين بن حريز المالكي, وعز الدين الحنبلي. (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٤١).

٢. كما أكد السلطان على ضرورة تمتع الجند المشاركين في هذه الحملة بقدرات عسكرية عالية، لذلك قام باستعراض الجند في ١١ ربيع الاول سنة ( ٨٧٣هـ/١٤٦٨م) من أجل اعطائهم (الجامكية)[٢٦] فكان يناول أحدهم قوساً قبل ان يسلمه المكافئة, فأن جذبه بقوة كتب اسمه في الحملة, وإلا ألزمه بدفع مائه دينار, وهذا دليل على عدم خروجه إذ استفاد من هذه الاموال في تجهيز الحملة (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٢٢/٣).

**خامساً: الحملة الثانية(٨٧٣هـ /١٤٦٨م)**

تقرر أرسال حملة صغيرة كقوة استطلاعية مهمتها المساعدة في حماية بلاد الشام من هجوم محتمل لشاه سوار، والكشف عن احواله ثم يكون القرار في أرسال الحملة الرئيسة على ضوء ما تقرره هذه الحملة التي اوكلت مهمة قيادتها للأمير ازدمر الابراهيمي الذي كان يحمل رتبة مقدم الف ، والامير قجماس الظاهري امير طبلخاناه[٢٧] ، مع عدد من الامراء وخمسمائة من المماليك السلطانية , وأنفق السلطان على هذه الحملة الصغيرة اموالاً طائلة، فمنح الأمير ازدمر قائد الحملة ستة الاف دينار، والأمير قجماس خمسمائة دينار, ومنح مائتي دينار لكل امير عشرة , ومبلغ مئة دينار لكل مملوك مع مكافئة اربع اشهر معجلة (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٤٣).

[٢٦] الجامكية : مصطلح فارسي ويعني اعطاء كسوة منتظمة او الراتب الذي يعطى لشراء الملابس وقد استخدم للدلالة على الرواتب الشهرية المنتظمة التي كانت تصرف لأفراد الجيش المملوكي وخاصة المماليك السلطانية (العمايرة، ٢٠١٠، صفحة ٨٤) .

[٢٧] امير طبلخاناه: يستحق صاحبها ان تضرب الطبول على بابه ويكون أمير اربعين ويتدرج في الزيادة الى ثمانين، ويعد أمير الطبلخاناه في الدرجة الثانية بين الأمراء (القلقشندي، ١٩٩٢، صفحة ٤،١٥؛ دهمان، ١٩٩٠، صفحة ١٠٦).

وفي ٦ ربيع الاخر سنة (٨٧٣هـ /١٤٦٨م) خرجت الحملة نحو بلاد الشام ثم بلاد دلغادر، وبعد اربعة اشهر خرجت الحملة الرئيسة التي كانت بقيادة الأمير ازبك بن ططخ حيث كان معه عدد كبير من الامراء الذين يحملون رتباً عسكرية عالية (الصيرفي، ١٩٧٠، صفحة ٣١) .

غادرت الحملة القاهرة في ٩ شعبان من السنة نفسها في ظروف سيئة للغاية, فقد تزامن خروجها مع أنتشار مرض الطاعون وموت عدد كبير من الجنود في الطريق بعد خروجهم من مصر, فضلاً عن احجام بعض الامراء عن الاشتراك في هذه الحملة (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٤٥؛ نافع، ٢٠٠٥، صفحة ٧١) كما كان للقحط نصيب كبير في ذلك حيث واجهت هذه الحملة الغلاء في مصر ثم في بلاد الشام ، إلا إن غلاء بلاد الشام كان فاحشاً (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٢٩/٣), مما اضطر السلطان الى أرسال المواد الغذائية بواسطة المراكب عن طريق البحر المتوسط, فقد تزايدت شدة الغلاء وحدة القحط عند دخول الحملة الاراضي الدلغادرية كما ساهم جنود المماليك انفسهم بزيادة حدة الغلاء بأتلاف وتخريب ما كانوا يصادفوه من مزارع ومراعي, وتمكنت هذه الحملة في البداية من تحقيق النصر في إحدى المعارك مع شاه سوار إذ سيطرت على مضيق باب الملك[٢٨] الذي كان تحت سيطرة شاه سوار, كما قتل مال باي الاقطع بن سليمان الدلغادري أخو شاه سوار وكثير من عسكره وارسل رأس مال باي واثنين من امراء شاه سوار الى القاهرة وطيف بهما جميعاً (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٤٥؛ نافع، ٢٠٠٥، صفحة ٧١).

تعاون كل من القحط ودهاء شاه سوار على حرمان المماليك من النصر الحاسم في هذه الحملة, فقد اضطرت الحملة الى العودة الى حلب تحت ضغط القحط فاختارت طريقاً وعراً لرجوعها, حيث كمن لهم شاه سوار مع معظم جيشه في أماكن ضيقة تكثر فيها الاشجار ولا تسهل فيها الحركة ، فتمكن من إلحاق هزيمة

[٢٨] مضيق باب الملك: مضيق ضيق عند عقبة بغراس في جبال الامانوس بلواء الاسكندرونه شمال غربي حلب. (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٤٥).

كبيرة بالمماليك الذي قتل منهم ما لا يحصى عدده (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٣٦/٣), فكانت هذه من المعارك الشهيرة التي لم يسمع بمثلها ، فقد وصلت فلول الجيش الحلبي الهاربة من وجه شاه سوار الى حلب من ذي الحجة سنة (٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م) ، ثم توافد الجيش المملوكي الى القاهرة وهم في أتعس حال من شبه العري والجوع وكان بعضهم مجروح والبعض الاخر ضعيف ومنهم من دخل راكباً على حمار او جمل أو ماشياً (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٣٦/٣) حيث كانت عودة الجيوش المصرية إليها دون إذن من السلطان بالعودة (الظاهري، ٢٠٠٢، صفحة ٣٣٩/٦) ،اما الخسارة فيكفي أن نشير الى ما كتبه ابن اجا لنعرف كثرتها حيث قال " وأما من قتل من جنود المماليك السلطانية ومشايخ عربان نابلس والعشير والتركمان والغلمان فما امكن ضبطه" (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٤٦) .واضاف ابن اياس "وكانت هذه من الوقعات المشهورة التي لم يسمع بمثلها" (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٣٦/٣).

كان شاه سوار على قدرة قتالية عالية جداً ، ودهاء منقطع النظير إذ تمكن من تحويل الهزيمة ، بعد أن قتل أخاه وخسر مضيق باب الملك الى نصر كبير جداً, فقد قتل من المماليك ما لا يمكن إحصاؤه من فئات الجيش المملوكي كافة الجند، المماليك السلطانية ، مشايخ عربان نابلس، العشير والتركمان وخير دليل على ان المماليك فقدوا السيطرة على الموقف عودة الجيوش المملوكية الى القاهرة دون إذن السلطان.

إن الهزائم المتكررة للجيوش المملوكية على يد شاه سوار أثرت بشكل سلبي على هيبة الدولة , هذا ما صرح به ابن اياس بقوله "ان حرمة سلطان مصر عند ملوك الشرق قد انتهكت" (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٤٣/٣).

على أثر الهزائم المتكررة التي صحبتها خسائر كبيرة جداً على يد شاه سوار فقدت السلطة هيبتها حتى ان الفلاحين الذين ليس لهم ادنى علاقة بالسياسة والمناصب العسكرية تطاولوا على المماليك اصحاب السيادة

في الدولة, فقد أوضح ذلك ابن اياس " حتى ان الفلاحين طمعوا في الترك وتبهدلوا عندهم بسبب ما جرى عليهم من سوار وكادت ان تخرج المملكة عن الجراكسة" (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٥٢/٣).

أما حال الناس فيكفي أن نشير الى ما كتبه ابن اجا إذ يقول "عم النعي في كل حارة ليلا ونهاراً مثل أيام الوباء " (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٤٦)وهذا خير دليل على كثرة الخسائر فلا توجد حارة الا وفيها من قتل او اسر في حرب شاه سوار، اما موقف الجنود " ودخل الوهم في قلوب العسكر مثل ايام تيمور لنك وصاروا يرعدون من ذكره" (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٣٦/٣), فقد جنود المماليك الروح المعنوية في حربهم ضد شاه سوار وكانوا يعتقدون ان المعركة ضد شاه سوار قد حسمت سلفاً لصالح شاه سوار، أراد شاه سوار بعد هذه الانتصارات ان يضفي على مملكته صفة شرعية, فأرسل رسوله الى القاهرة في ٢٣ رمضان سنة (٨٧٤هـ ١٤٦٩م) حاملاً هدايا الى السلطان المملوكي قايتباي, الذي لم يسمح لرسول شاه سوار بالصعود الى القلعة في البداية ثم اذن له بالصعود ومقابلة السلطان دون الهدية التي احضرها معه، وسلم رسالة من شاه سوار للسلطان يطلب فيها الصلح لكن بعدة شروط:

١. ان يعترف السلطان المملوكي به أميراً على اماره دلغادر.
٢. ان يمنحه امرة مائة فارس وتقدمه الف بحلب .
٣. مقابل ذلك تعهد شاه سوار بتسليم مفاتيح قلعة عينتاب للمماليك .

وصلت المفاوضات بين رسول شاه سوار, والسلطان المملوكي الى طريق مسدود إذ لم يوافق السلطان على شروط شاه سوار (ابن اجا، ١٩٨٦، الصفحات ٤٧-٤٨؛ الصيرفي، ١٩٧٠، الصفحات ١٦٣-١٦٤).

وبعد ان علم شاه سوار رفض السلطان المملوكي شروط الصلح هاجم إمارة بني رمضان[٢٩] المتحالفة مع

[٢٩] إمارة بني رمضان: احدى الامارات التركمانية ، كونت امارتها في ادنه سنة (٧٨٠هـ / ١٣٧٨م) , ووقف معظم امرائها الى جانب المماليك الى ان قويت شوكة العثمانيين فوقفوا معهم وشاركوا السلطان العثماني سليم الاول غزو سوريا ومصر . وهم

المماليك, وأستولى في محرم سنة (٨٧٥هـ/١٤٧٠م) على قلعة اياس[٣٠] التابعة لهم (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٤٨).

إن المأزق الذي دخلت فيه الدولة المملوكية من وراء فتنة شاه سوار كان ورائه عدة أسباب :

١. سوء سياسة السلطان المملوكي قايتباي تجاه شاه سوار, حيث كان بإمكانه ان يقره على الابلستين وتخمد الفتنه , كما صرح بذلك المؤرخون المعاصرون " وكان يمكنه ان يرسل الى الشاه سوار خلعة وهدية وتخمد هذه الفتنة , فلم يوافق على ذلك وأخذ الامور بالعترسة " (ابن اجا، ١٩٨٦، الصفحات ٣٧-٣٨؛ ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٧/٣), كما عمد على رد رسل شاه سوار وعدم قبول المفاوضات معه.

٢. الدعم الكبير واللامحدود الذي قدمه السلطان العثماني محمد الفاتح لشاه سوار الذي مكنه من تحقيق هذا النجاح , إذ لم يتمكن احد من اسلافه ان يحقق مثل هذا النجاح منذ تأسيس الإمارة , حيث كان هدف السلطان العثماني تهيئة الاوضاع من اجل اقتطاع الإمارة , وضمها الى املاك الدولة العثمانية (الزهيري، ١٩٩١، صفحة ١٢٢).

٣. القدرة العسكرية الكبيرة لشاه سوار الذي تمكن من الانتصار في عدة معارك , إذ استطاع بدهائه أن يحول خسارته في المعركة الى انتصار ويستدرج القوات المملوكية , أكثر من مرة , الى ساحة المعركة التي يختارها ثم ينصب لهم الكمائن ويباغتهم ويحقق الانتصار عليهم.

---

من التركمان الاوجاقية واول من ظهر منهم احمد بن رمضان. (القرماني، ١٩٩٢، الصفحات ٣/١٠٥-١٠٨؛ لين بول، ١٩٧٤، الصفحات ق٢/٤٦٣-٤٧١).

[٣٠]أياس: بلدة واقعة على الساحل الشمالي الغربي لخليج الاسكندرية , وكانت فيها مدينة كبيرة وكانت الميناء الرئيسي لمملكة ارمينيا الصغرى في كيليكا على البحر المتوسط وكان أمرها موكل الى نائب الشام ثم جعلت الى نائب حلب . وهي الان ضمن الاراضي التركية. (القلقشندي، ١٩٩٢، صفحة ٤/١٣٧؛ موستراس، ٢٠٠٢، صفحة ٣٦٧).

**سادساً: الحملة الثالثة(٨٧٥هـ/١٤٧٠م)**

بعد وصول الاخبار الى القاهرة انزعج السلطان المملوكي واركان دولته وأدركوا انهم لا يمكن ان يحققوا انتصاراً على شاه سوار, وإعادة إمارة دلغادر الى املاكهم في ظل الظروف الراهنة , لذلك عمدوا الى التحرك الواسع على الصعيدين العسكري والسياسي .

١. **الصعيد العسكري**

أتخذ السلطان قايتباي إجراءات واسعة من أجل ارسال حملة جديدة تكن ناجحة, فأرسل أولاً حملة عسكرية صغيرة بقيادة الأمير اينال الاشقر, كانت مهمتها الاستقرار في حلب وحمايتها وانتظار الحملة الكبيرة التي تقرر ان يقودها الدوادار الكبير يشبك من مهدي (السخاوي، ١٩٩٢، الصفحات ٢٧٢/١٠-٢٧٤), إذ كان تحت امرته الأمير تمراز الشمسي , والأمير خايربك حديد الاشرفي , فضلاً عن عدد كبير من الامراء والمماليك ، كما منح قائد الحملة صلاحيات واسعة (الصيرفي، ١٩٧٠، صفحة ٢٢٥), إذ وضعت شؤون الحملة بيده يتصرف كيفما شاء دون الرجوع الى السلطان في شيء , حيث منحه السلطان تخويلاً يولي من يشاء ويعزل من يشاء ويعطي الاقطاعات من يختار, كما كانت نفقاتها كبيرة حيث وضع السلطان بين يدي الأمير يشبك وارداته من الذهب والملابس والخيل والبغال والجمال , وكل ما يحتاج اليه في حملته (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٥٩/٣) .

أعطيت هذه الحملة من السلاح الشي الكثير حتى قال عنها ابن اجا وهو شاهد عيان واحد افراد الحملة " **وقد احضرنا معنا السلاح والمكاحل والمناجيق مالم يحضره ملك من الملوك** " (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٩٢)، وهذا يعني ان الحملة جهزت بكل ما تحتاجه من أسلحة فاق تجهيز جميع الحملات السابقة كما زار السلطان

الأمير يشبك في خيمته مرتين يوم سفره وتحدث معه طويلاً من وقت صلاة العشاء الى قبل طلوع الفجر (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٦٠/٣)، ويبدوا ان هذه الحملة كانت لها اهمية كبيرة جداً على الدولة المملوكية وعلى السلطان قايتباي الذي لم يلتزم بقواعد وعادات الملوك على حد قول ابن اياس " وقد اعيب على السلطان نزوله الى الامير يشبك في الوطاق مرتين، وهذا بخلاف عادات الملوك وقواعدهم" (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٦٠/٣).

خرجت الحملة الكبيرة التي احسن السلطان اعدادها يوم الاثنين ١٠ شوال سنة (٨٧٥هـ/١٤٧٠م) من القاهرة بقيادة الامير يشبك أقدر رجال الدولة آنذاك والذي تجمعت في يديه كل السلطات بعد ان أكملت استعداداتها كافة، وكان لخروجها يوماً مشهوداً، واستمرت الحملة تخرج الى قرب الظهر، وكان العسكر افواجاً حتى سد الفضاء، وعند وصولها الى الشام انضمت إليها قوات دمشق بقيادة برقوق الظاهري، وقوات غزة، فضلاً عن تركمان الطاعة وبعض أمراء دلغادر، توجهت هذه القوات لتلاقي شاه سوار لوحده بعد أن تخلى عنه حلفاؤه العثمانيون, فتمكنت من استعادة مدينة عينتاب في صفر سنة (٨٧٦ هـ/١٤٧١م) بعد حصار شديد وعندما ادرك شاه سوار قرب سقوط المدينة اخذ امواله وعياله الى قلعة زمنطوا (ابن اجا، ١٩٨٦، الصفحات ٩١-٩٥) كما استعادت القوات المملوكية مدن أدنة وطرسوس[٣١] , ثم زحفت حتى عبرت نهر جيحون[٣٢] , ليصطدم الطرفان في معركة فاصلة " تشيب منها النواصي، فانكسر عسكر سوار كسرة قوية" (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٦٦/٣) وهذا يدل على انها كانت معركة كبيرة فقد عرف عن شاه سوار ومن معه انهم مقاتلون اشداء , وفي المقابل كانت القوات المملوكية كبيرة جداً, على اثر هذه المعركة هرب شاه سوار مع

[٣١] طرسوس: من مدن الشام بين انطاكيا وحلب وبلاد الروم, والذي بناها سليمان خادم الخليفة العباسي هارون الرشيد , عليها سوران وخندق واسع ولها ستة ابواب , ويشقها نهر (ياقوت الحموي، ٢٠٠٧، الصفحات ٢٨/٤-٢٩؛ موستراس، ٢٠٠٢، الصفحات ٣٤٨-٣٥٠).

[٣٢] نهر جيحون: هو من انهار الاناضول الكبرى وله روافد كثيرة وتسميه العامة جهان واليه تنسب الفتوحات الجاهانية ، ويمر بسيس ويسير من الشمال الى الجنوب ويتجاوز المصيصة في خليج الاسكندرونة (ياقوت الحموي، ٢٠٠٧، صفحة ١٩٦/٢؛ القلقشندي، ١٩٩٢، صفحة ٨٥/٤).

عدد قليل من جنوده الى قلعة زمنطوا وكان شاه سوار قد اودع فيها اولاده وعياله واموالـه منذ صفر( ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م) (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٦٢/٣) .

ادرك شاه سوار عدم قدرته على مقاومة الجيوش المملوكية بعد ان تخلى عنه العثمانيون, فطلب الصلح من الأمير يشبك الذي أرسل اليه وفداً يحمل هدايا ورسائل من امراء حلب والشام, فتوجه اليه القاضي شمس الدين ابن اجا[٣٣] للتفاوض معه, إذ طلب شاه سوار ان يرسل مفاتيح قلعة طرنده مع احد اولاده مقابل ان يكون حاكماً عليها من قبل المماليك, الا ان السلطان قايتباي رفض واشترط حضور شاه سوار الى القاهرة , فلم يوافق شاه سوار فوصلت المفاوضات الى طريق مسدود, واستؤنف القتال مرة اخرى (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٦٩/٣؛ نافع، ٢٠٠٥، صفحة ٧٤).

تابع الأمير يشبك سيره, فتمكن من السيطرة على مدنية طرنده ثم دخل مدينة الابلستين دون مقاومة فتوجه الى قلعة خرمان[٣٤] وأرسل اليهم الامير يشبك رسولين من اجل تسليم القلعة صلحاً الا انهم رفضوا, ثم عزم على السيطرة عليها بالقوة وشدد عليها الحصار , فلما شارف على الاستيلاء عليها بالقوة أرسلوا يطلبون تسليم القلعة فوافق بعد ان امتنع في البداية حيث امنهم على انفسهم واموالهم, أما الآت القلعة وذخائر شاه سوار واملاكه فقد اصبحت غنائم للجيش المملوكي (ابن اجا، ١٩٨٦، الصفحات ١٤٣-١٤٤).

أشتد الضغط على شاه سوار بعد ما خسر عدداً كبيراً من المدن والقلاع على اثر الضربات المملوكية القوية, كما ان قسماً من جيشه تخلى عنه بسبب المتاعب التي واجهها هذا الجيش نظراً لطول مدة الحروب التي خاضها (الزهيري، ١٩٩١، صفحة ١٢٦), فضلاً عن شدة الحصار الذي فرضه الأمير يشبك على قلعة زمنطوا، ولا سيما بعد ان تأكد من وجود شاه سوار داخلها، فقد نزل احد مماليك شاه سوار من القلعة, وتم

[٣٣] القاضي شمس الدين ابن اجا: هذا المؤرخ كان قاضي الجيش حيث رافق الحملة ضد شاه سوار ودوّن احداثها فهو شاهد عيان لما حدث. (السخاوي، ١٩٩٢، الصفحات ٢٣٤/١١-٢٣٥)

[٣٤] قلعة خرمان: لم نعثر لها على تسمية او تعريف في المصادر التاريخية والجغرافية.

القبض عليه وعندما احضر الى الأمير يشبك اعترف بوجود شاه سوار في القلعة (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ١٤٦؛ الغياثي، ١٩٧٥، صفحة ٣٦٥), لذلك اشرف على حصارها الامير يشبك بنفسه, وبدء ضربها بالمدافع, مما أضطر شاه سوار الى اعلان استسلامه في ذي الحجة سنة (٨٧٦هـ/١٤٧١م) مع عدد قليل من جنوده (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٧٣/٣).

نزل شاه سوار من القلعة بعد ان اقسم له الامراء على المصحف انه إذا نزل لن يصيبه أذى (الغياثي، ١٩٧٥، صفحة ٣٦٥), ثم غدروا به وقادوه اسيراً ليدخل القاهرة يوم الاثنين ١٨ ربيع الاول (٨٧٧هـ/١٤٧٢م) وهو راكب على فرس ومقيد بالحديد ومعه عدد من اخوته واقاربه واعيان من قبض عليهم من امرائه وكانوا قريباً من عشرين وكانوا مقيدين فشق الامير يشبك القاهرة بهذا الموكب ومعه الامراء الذين شاركوه هذه الحملة واصطف الناس على الدكاكين ليشاهدوا شاه سوار الذي قتيل الكثير من الامراء والجنود فكان يوماً مشهوداً واستمر الموكب حتى طلع الى القلعة وقابل السلطان الذي وبخ شاه سوار وعاتبه عتاباً لطيفا وشاه سوار لا يتكلم وامر السلطان ان يسلم الى والي القاهرة الذي جعل في عنقه طوق من حديد وفيه جرس كما امر السلطان بذلك كما سّمروا اخوته واقاربه على جمال وهم شبه عرايا والمنادي ينادي عليهم هذا جزاء من يخرج على السلطان (ابن اياس، ٢٠١٨، صفحة ٧٧/٣) واستمروا على هذه الحال الى ان وصلوا الى باب زويلة[٣٥] حيث اعدم شاه سوار بطريقة الشنكلة[٣٦] في وسط باب زويلة وكان اخوه يحيى كاور عن يمينه، واخوه اردوان الاحدب عن شماله, بينما شنكلوا اخوه الاخر حدار داخل الباب, اما اخوهم الاخر سلمان

[٣٥] باب زويلة: هو احد بوابات سور القاهرة التي لم يبقى منها الا باب النصر والفتوح شمالاً . فعندما اسس القائد جوهر الصقلي القاهرة كان لها من جهتها القبلية بابان متلاصقان يقال لهما بابا زويلة، وفي سنة(٤٨٥هـ/١٠٩٢م) بنى القائد بدر الجمالي باب زويلة الكبير وعّلا ابراجه وعمل في بابه زلاقة كبيرة من حجارة الصوان عظيمة بحيث إذا هجم عسكر على القاهرة لا تثبت قوائم الخيل على الصوّان، فلم تزل هذه الزلاقة باقية إلى أيام السلطان الكامل ناصر الدين الايوبي، الذي أمر بنقضها، فنقضت، وبقي منها شيء يسير، اشتهر هذا الباب بكونه المكان الذي علقت عليه رؤوس رسل هولاكو، كما شنق عنده العديد من القادة والمعارضين للحكم. (المقريزي، المواعظ الاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية، ١٩٩٨، الصفحات ٢٣٩/٢-٢٤١).

[٣٦] الشنكلة : نوع من انواع الاعدام يعلق المحكوم بالإعدام بكلاليب معقوفة من تحت ابطه وينزف حتى الموت (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٦٠).

فقد كان امرداً مليح الشكل, فرق الناس له, فشفع فيه الامير يشبك وأنقذه من الاعدام واستمر شاه سوار معلق يوم وليلة, والناس ينظرون اليه حتى فارق الحياة (السخاوي، ١٩٩٢، الصفحات ٣/٢٧٤-٢٧٥) .

تم اعدام شاه سوار ومن معه بموجب الفتوى التي حصل عليها السلطان المملوكي قايتباي في صفر سنة (٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م) بسبب خروجه عن الطاعة (ابن اجا، ١٩٨٦، الصفحات ٦٠-٦١؛ لين بول، ١٩٧٤، صفحة ق٢/٤٥٩)هكذا انتهى حكم شاه سوار الذي يصفه ابن اجا وكان جميل الصورة حسن الشكل ومخايل الحشمة والرئاسة محصورة فيه, وكان من اعظم اولاد دلغادر (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ٦١).

**٢. الصعيد السياسي**

ان الانتصار العسكري الذي حققه الأمير يشبك لم يكن ليتحقق لو لم يرافق ذلك عملاً على الصعيد السياسي, فقد تمكن المماليك من كسب ود أكبر حليف لشاه سوار هو السلطان العثماني محمد الفاتح, فقد أرسل السلطان المملوكي قايتباي وفداً الى أستانبول من اجل توثيق العلاقات بين الطرفين والتسليم بمطاليب العثمانيين كلها ولاسيما ما يتعلق بإمارة قرمان[٣٧] , ثم كتب السلطان المملوكي قايتباي الى السلطان العثماني محمد الفاتح يعرض عليه ان تكون له – للفاتح- جميع بلاد شاه سوار , على أن يكف عن مساعدته ويتخلى عنه حتى يظفر به المماليك ويصيبوا منه ثأرهم , وقبل السلطان محمد الفاتح هذا العرض، وما كان من السلطان المملوكي قايتباي, إلا أن كتب الى أمراء دلغادر وكبار رجالات شاه سوار وفرق عليهم الأموال, وأخبرهم بأن السلطان محمد الفاتح تخلى عن نصرة شاه سوار, فتخلوا عن نصرته وأنقلب بعضهم عليه ، كما وصل رسول السلطان العثماني الى القاهرة في محرم سنة (٨٧٥هـ/١٤٧١م) ينقل أنباء انتصار العثمانيين في بلاد الفرنجة والبنادقة (ابن اياس، ٢٠١٨، الصفحات ٣/٥٣-٦٠؛ الصيرفي، ١٩٧٠، صفحة ١٩٩).

[٣٧] امارة قرمان: احدى الامارات التركمانية التي قامت على انقاض سلطنة سلاجقة الروم التي حكمت خلال الحقبة( ٦٥٤-٨٨٨هـ / ١٢٥٦-١٤٨٣) وكانت أقوى الامارات التركمانية بعد الدولة العثمانية وانقرضت على يد الدولة العثمانية. (القرماني، ١٩٩٢، الصفحات ٢/٥١١-٥١٢؛ لين بول، ١٩٧٤، الصفحات ق٣/٤٣٥-٤٤٤).

وفي رمضان من السنة التالية حضر الى القاهرة رسول اخر من قبل العثمانيين كانت مهمته سرية, حيث اجتمع به السلطان المملوكي على انفراد في ٢٤ رمضان على مائدة الافطار فلم يسمح لاحد بمشاركتهم (الصيرفي، ١٩٧٠، الصفحات ٤١١-٤١٢).

نتج عن الاجتماع تسوية الخلافات بين الطرفين من اجل مواجهة العدو المشترك المتمثل بإمارة الاق قوينلو, وتقاسم مناطق النفوذ المتنازع عليها فتكون إمارة قرمان للعثمانيين, اما إمارة دلغادر فتكون من نصيب المماليك (الزهيري، ١٩٩١، صفحة ١٢٥)،ان تخلي المماليك عن إمارة قرمان أتاح للعثمانيين حرية التحرك العسكري ضد هذه الإمارة, فتمكنت القوات العثمانية من السيطرة عليها (نافع، ٢٠٠٥، الصفحات ٧٤-٧٥).

ان التقارب المملوكي العثماني جاء بعد ظهور إمارة الاق قوينلو بشكل خطير هدد فيه كلتا الدولتين لا سيما بعد قضاء زعيمها اوزون حسن على إمارة القره قوينلو سنة (٨٧٢هـ/١٤٦٧م) وضم إمارتهم الى املاكه (الغياثي، ١٩٧٥، الصفحات ٣٧٨-٣٨٠؛ الجواهري، ١٩٩٠، صفحة ٣١), ثم تمكن من هزيمة التيموريين واسقاط دولتهم سنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م) لتتحول إمارة الاق قوينلو الى قوة سياسية كبرى تشمل مناطق واسعة من شرق الاناضول، وإذربيجان، والعراق، وبلاد فارس وبلاد ما وراء النهر كما زادت مخاوف العثمانيين بعد تأكدهم من تحالف اوزون حسن مع البنادقة إذ اتفق معهم على تزويده بصفقة اسلحة وذخيرة (ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، ١٩٩٠، الصفحات ٣/٧١٢-٧١٤؛ الزهيري، ١٩٩١، صفحة ١٢٣).

بعد اتفاق مصالح الطرفين قرر العثمانيون التخلي عن شاه سوار, فبعد خمسة عشر يوماً من اجتماع الرسول العثماني بالسلطان المملوكي خرجت حملة الأمير يشبك التي أنهت تمرد شاه سوار, لم يقف التعاون المملوكي العثماني عند هذا الحد , بل ان السلطان العثماني محمد الفاتح رفض استقبال رسل شاه سوار الذي

وصلوا استانبول لمقابلته, كما بعث بهدية مع رسوله الى الأمير يشبك فوصل الرسول والقتال دائر بين الأمير يشبك وشاه سوار حيث أعرب الرسول عن سعادة السلطان العثماني بوصول الجيوش المصرية, كذلك طلب ان تصله الاخبار أولاً بأول , وعرض تقديم المساعدة للجيش المملوكي ان اقتضت الحاجة (ابن اجا، ١٩٨٦، صفحة ١٤٥؛ الزهيري، ١٩٩١، الصفحات ١٢٥-١٢٧).

كما أستطاع المماليك بالعمل السياسي أيضاً من تحييد أوزون حسن في حربهم ضد شاه سوار على أثر أرسال سفارة الأمير ابن اجا قاضي الجيش اليه, حتى انه عرض تقديم المساعدة للمماليك في حربهم ضد شاه سوار، ان سفارة ابن اجا الى اوزون حسن كانت فرصة ينتظرها الأخير, لأنه كان يريد كسب ود المماليك في هذه الحقبة ليتمكن من استخدام أراضيهم للوصول الى البحر المتوسط من أجل الحصول على المساعدات الاوربية (ابن اجا، ١٩٨٦، الصفحات ١٠٦-١٢٥), بهذا العمل العسكري الذي رافقه تحرك سياسي ناجح تمكن المماليك من القضاء على تمردات شاه سوار التي انهكت الخزينة , وقللت من هيبة المماليك في عين جيرانهم اما الخسائر بالأرواح فهي فوق الحصر والعد.

**الخاتمة**

بعد الانتهاء من دراسة "موقف السلطان المملوكي الاشرف قايتباي (٨٧٢ -٩٠١هـ/١٤٦٧-١٤٩٦م) من تمرد الامير الدلغادري شاه سوار" توصلت الدراسة الى النتائج الأتية:

حكمت إمارة دلغادر حوالي مئتي سنة في مرعش والابلستين وما حولها, وتعاقب على حكم الإمارة عشرة أمراء كان لقسم منهم أثر كبير في الأحداث السائدة في المنطقة جراء كثرة حروبهم وخروجهم على

الدولة المملوكية وتحالفاتهم الخارجية, وانتهت حياة اغلب هؤلاء الأمراء عن طريق الاغتيال السياسي أو الإعدام – من قبل المماليك الذين كانت الإمارة احد توابعهم وامتداداً لأراضيهم .

توصلت الدراسة الا ان الحقبة الزمنية قبيل وصول السلطان المملوكي قايتباي الى السلطة قد شهدت اختلالاً في ميزان القوى فلم تعد الدولة المملوكية هي صاحبة الكلمة العليا في المنطقة بعد ظهور الدولة العثمانية على مسرح الاحداث ولا سيما بعد محاولة الامير الدلغادري ملك ارسلان التقرب منهم الذي كلفه هذا التقرب حياته فقد اغتيل في القاهرة. وهذا يعني ان المماليك لم يسمحوا لاحد من امراء دلغادر الخروج عن سلطتهم.

كان الامير الدلغادري شاه سوار صاحب شخصية سياسية وعسكرية قوية جداً فقد تمرد على المماليك في ظروف تمكن من الاستفادة منها في حربه ضدهم فقد كانت الدولة المملوكية تمر بأصعب ظروفها فبعد مرض السلطان خشقدم ثم وفاته تعاقب على حكم الدولة ثلاثة سلاطين في مدة اقل من اربعة اشهر.

كما بينت الدراسة ان السلطان المملوكي قايتباي كان شخصية قوية ولم يقبل بخروج امارة دلغادر عن تبعيتها للمماليك، فبعد وصوله للحكم ورغم الظروف الصعبة جدا التي تمر بها الدولة المملوكية من القحط الذي ضرب البلاد وفراغ الخزينة من الاموال تمكن من ارسل ثلاث حملات عسكرية خرجت من القاهرة الى بلاد الشام ومن هناك التحقت بها قوات الشام الى الاراضي الدلغادرية.

كان النصر في الحملة الاولى والثانية حليف الامير الدلغادري فقد تعاون كل من القحط ودهاء شاه سوار على حرمان المماليك من النصر الحاسم في هذه الحملات رغم كثر الاستعدادات وكثرة الجيش المملوكي الا ان الامير الدلغادري كان خبيراً بالحروب فقد استدرج الجيش المملوكي في الاماكن الضيقة

والمنحدرات معتمداً على اسلوب الحرب الخاطفة فقد انتصر على الجيوش المملوكية رغم الفارق الكبير بالعدد والعدة.

على الرغم من الخسائر الكبيرة التي تعرض لها المماليك لم يرضى سلطانهم قايتباي بخروج امارة دلغادر عن سيطرته فقد ارسل الحملة العسكرية الثالثة واوكل مهمتها الى اقدر القادة العسكريين هو الامير يشبك من مهدي بعد تزويده بصلاحيات واسعة تمكنت من انهاء تمرد شاه سوار والانتصار عليه وجلبه اسيراً الى القاهرة واعدامه مع عدد كبير من رجاله وقسم من اخوته عند باب زويله.

ان الانتصار العسكري الذي حققه الأمير يشبك لم يكن ليتحقق لو لم يرافق ذلك عملاً على الصعيد السياسي, فقد تمكن المماليك من كسب ود أكبر حليف لشاه سوار هو السلطان العثماني محمد الفاتح كما أستطاع المماليك أيضاً من تحييد أوزون حسن في حربهم ضد شاه سوار على أثر أرسال سفارة قاضي الجيش الأمير ابن اجا, حتى انه عرض تقديم المساعدة للمماليك في حربهم ضد شاه سوار.

**المصادر والمراجع**

ابن اجا، محمد بن محمود الحلبي ، (١٩٨٦). العراك بين المماليك والعثمانيين الاتراك رحلة مع الامير يشبك بن مهدي الدودار. (تحقيق: محمد احمد الدهمان) دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر.

ابن اياس، محمد بن احمد الحنفي ،(٢٠١٨). بدائع الزهور في وقائع الدهور. (تحقيق: محمد مصطفى) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن ،(١٩٩٠). حوادث الدهور في مدى الايام والشهور. (تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين) عالم الكتب.

ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن. (١٩٨٤). المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. (تحقيق: محمد امين) القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن ، (١٩٩٧). موارد اللطافة في من ولي السلطة والخلافة. (تحقيق: نبيل عبد العزيز احمد) القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.

ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن، (١٩٩٢). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. (تحقيق: محمد حسين شمس الدين) بيروت: دار الكتب العلمية.

الجبوري، صالح احمد صالح (٢٠١٢). دور الجوامع والمساجد في التعليم في مصر في عهد المماليك البحرية. **مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية**، كركوك،(المجلد٧/العدد٣).

الجواهري، عماد (١٩٩٠). صراع القوى السياسية في المشرق العربي من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني. الموصل: دار ابن الاثير للطباعة والنشر.

الخطيب، مصطفى عبد الكريم ، (١٩٩٦). معجم المصطلحات والالقاب التاريخية. بيروت: مؤسسة الرسالة

دهمان، محمد احمد،(١٩٩٠). معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي. بيروت: دار الفكر المعاصر.

الزهيري، حنان جاسم محمد (١٩٩١). العلاقات السياسية المملوكية التركمانية خلال عهد المماليك الجراكسة (٧٤٨-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م). الموصل: رسالة ماجستير(غير منشورة) كلية الآداب.

السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين. (١٩٨٦). معيد النعم. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، (١٩٩٢). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

الصيرفي، علي بن داود الجوهري ، (١٩٧٠). انباء الهصر بأبناء العمر. (تحقيق: حسن حبشي) القاهرة: دارالكتب.

الظاهري، زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين، (٢٠٠٢). نيل الامل في ذيل الدول. (تحقيق:عمر عبد السلام تدمري) بيروت: المكتبة العصرية.

العمايرة، محمد عبدالله سالم (٢٠١٠). المعجم العسكري المملوكي. عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

الغياثي، عبدالله بن فتح الله البغدادي ، (١٩٧٥). تاريخ الغياثي. (تحقيق: طارق نافع الحمداني) بغداد: مطبعة اسعد.

القرماني، أحمد بن يوسف. (١٩٩٢). أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ. (تحقيق: احمد حطيحط وفهمي سعيد) بيروت: عالم الكتب.

الَقلقشندي، احمد بن علي (١٩٩٢). صبح الاعشى في صناعة الإنشا. (تحقيق: محمد شمس الدين) القاهرة: دار الكتب المصرية.

لين بول، ستانلي ، (١٩٧٤). الدول الاسلامية. (نقله من التركية الى العربية: محمد صبحي فرزات،اشرف على الترجمة وعلق عليه:محمد احمد دهمان) دمشق: مطبعة الملاح.

محمد ، جاسم محمد جاسم. (بلا تاريخ). الأهمية السياسية والعسكرية لقيام دولة المماليك البحرية في مصر وبلاد الشام ٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م. مجلة جامعة كركوك/ للعلوم الانسانية، كركوك، المجلد٦، العدد١.

موستراس، س. (٢٠٠٢). المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية. (ترجمة: عصام محمد الشحات) بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع.

نافع، غيثاء احمد ، (٢٠٠٥). العلاقات العثمانية المملوكية(٨٦٨-٩٢٣هـ/١٤٦٤-١٥١٧م). بيروت: المكتبة العصرية.

ياقوت الحموي شهاب الدين بن عبدالله (٢٠٠٧). معجم البلدان. بيروت: دار صادر للطباعة والنشر.